

الدكتورة نعمات أحمد فؤاد



عصر الخلاص فى السودة إلى
المنبع .. الدين !

تاريخ التسجيل ١٩٨٤

- أغانيها الوطنية تعبير عن شعور بالذنب !
- خوفو لم يبين الهرم الأكبر !
- شخصية مصرية بين مفترق الطرق الحضارية .
- القبة هرم .. والمئذنة مسلة .. والمسلة نخلة !
- الكتابة المسجدة والكتابة المجودة ..
- كيف ومتى نتعلم فلسفة التاريخ ؟
- عمارة العصر بين العشوائية والتقليد والتغريب ..
- بين البلدى والأفرانكا !

د . نعبات أحمد فؤاد

هى قطعة من روح مصر تسير على قدمين . . تكتب وكأنها تنقش
حروف كلماتها التى تختارها بعناية ، فتصل الماضى بالحاضر والمستقبل ،
وتتحدث فيأخذ حديثها بمجامع القلوب ، لدفته المصرى وعمقه
العلمى وصدقه الإنسانى . . استوعبت تراث أعظم حضارة فى العالم ،
ودعتنا إلى قراءته قراءة جديدة ، ليس من أجل الماضى ، وإنما من أجل
فجر جديد يشرق على حقائق الزمان والمكان . .



● نحب أن نعيش فى فكرك الذى يتسم بالتعددية فى جوانبه . . فقد
بدأت أدبية ، ولكن جهودك اتسعت فقرأنا لك فى الموسيقى والفنون
التشكيلية ورسائل وتراجم . . غير معارك الشهيرة ومواقفك القومية
والسياسية . . ولعله يجدر بنا أن نلقى الأضواء على ذلك قبل التوغل فى
الشهادة ؟

- الحقيقة إنى أرى ذلك التعدد فى الزوايا والجوانب شيئاً طبيعياً ،

لأننى تتلمذت على قمم شامخة سواء فى الجامعة أو خارجها . . ففى الجامعة رأيت أحمد أمين وأمين الخولى وعبد الوهاب عزام . . وخارج الجامعة رأيت د . طه حسين والعقاد وهيكىل . . فتعلمت منهم الصبر والرغبة فى الإتقان إلى حد الكمال الممكن للبشر . . ثقافة شاملة فى ألوان المعرفة الأخرى . . لأن المعرفة يكمل بعضها البعض . . حتى لا يضيع الإنسان إذا خرج من تخصصه إلى مجال آخر . . ودائماً يقاس الإنسان بما يملكه من قدرات . . لذلك فقد كان تخصصى الأصيل فى اللغة العربية واللغات الشرقية : الفارسية والتركية . . ولكنى علّمت نفسى . . بدأت أعلم نفسى بعد التخرج من الجامعة . . بل بعد الدكتوراه . . فقد اعتبرت الدكتوراه بداية لانهاية . . !

● نبدأ فى الشهادة . . وبداية هل ترصدين هذا الحضور المصرى المكثف . . المتمثل فى عشرات الدراسات والندوات والأغنيات التى تحمل اسم مصر ، وما تقيّمك لهذه الظاهرة ؟

- أوافق على الحضور كندوات ودراسات . . لأنها لون من العطاء والجدية المثمرة . . أما الأغنيات فإنى أتخفظ عليها . . !

●●● أغانينا الوطنية تعبير عن عقدة ذنب !

- فأنا أعتقد أن هناك بعض الأغنيات الجميلة الصادقة . . ولكن يوجد كم هائل من الأغانى عبارة عن طنطنة . . ثم إنى أعتقد أن غناء الطنطنة هو وطنية البسطاء . . أما الوطنية الحقة ، فى مفهومى على الأقل ،

فهى علم بالوطن وعطاء له ، وتمثل ومعايشة لآلامه وآماله . . أنا جزء من هذا الوطن . . لذا فكل ذرة تراب وورقة شجر ونسمة هواء أتمثلها وأعتز بها . . بشرط ألا يبقى هذا مجرد كلام . . فأنا يؤلمنى أن أرى السلييات . . فقد درست تاريخ هذا الوطن واعتزرت به . . لكن أن أقول تحيا مصر ببغاوية . . فهذه ليست الوطنية . . إنك تسألنى عن مفهومى لهذه الظاهرة وتفسيرى لها . . إن تقيىمى الصحيح لها أنها تأنيب ضمير نحس به . . إحساس بالنقص أننا لم نعط هذا الوطن ما يستحقه من فداء وعطاء . . لذلك فنحن نغطى هذا الشعور بالذنب بأن نغنى بصوت عالٍ . . لنغطى على وخز الضمير فينا . . ! إنسان داخله مكسور فيغطى الكسر «بالجعجة» . . فنحن بلا شك نحس بالذنب . . وأننا لانعطى لهذا الوطن ما يستحقه ، فنغطى هذا بأغان خادعة مخدوعة . . ويجب أن نلوم أنفسنا لوماً مضاعفاً لأننا أصحاب حضارة وراثية فى البناء . . فالإنسان العاجز لا يلام ، أما القادر فهو الجدير باللوم :

ولم أر فى عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التهام

فنحن نملك الكثير، وعملنا الكثير . . وفى ظروف صعبة . . فبعض مراحل حضارتنا نمت فى ظروف صعبة للغاية ، ومع هذا أضفنا فى كل عصر . . فهل إضافة عصرنا الحالى ستكون فى الأغانى ؟ هذا كثير !!

●●● خوفو لم يبين الهرم الأكبر !

● من دراساتك الهامة «شخصية مصر» التى أوضحت فيها العطاء

المصرى الرائد فى العلم والفن والدين . . وجيل العصر متهم بأنه لا يعرف تاريخ بلده . . أولاً : هل توافقين على هذا الاتهام ؛ ثانياً : لو كان هذا الاتهام صحيحاً . . فما هو المطلوب لنضع هذا الجيل على أول الطريق الصحيح ؟

- إذا جاز أن هذا اتهام فهو موجه لنا نحن جيل الآباء والأمهات والمعلمين بالدرجة الأولى . . كيف ؟ لأننا لم نعلم أولادنا التاريخ الصحيح لبلدهم . . فعلى أى أساس نتهمهم أو نحاسبهم ؟ أولى بنا أن نتهم أنفسنا فى شجاعة . . أولاً . . نحن علمناهم التاريخ كتاريخ ملوك . . مثلاً نقول لهم إن خوفو بنى الهرم الأكبر . . صلاح الدين انتصر فى معركة حطين . . الخ . . أولاً خوفو لم يبن الهرم الأكبر . . خوفو وقف على الهضبة وقال أنا أريد هنا هرمًا . . هكذا طلب من السلطة العليا ، وهو يملك أن يطلب هرمًا . . شهادة . . أى شىء ! ليست هذه هى العبقرية . . ولكن العبقرية هى عبقرية المهندس المصرى الذى صمم . . العامل المصرى الذى نقل الأحجار وبنى الهرم . . الجيولوجى المصرى الذى مسح الأرض . . الرياضى الذى حسب الزوايا فى إتقان شديد . . هؤلاء هم الذين بنوا الهرم . . هم الشعب المصرى . . فلو أنى أعلم هذا للولد ، كان يطلع عنده ثقة فى نفسه . . أنه هو الذى يصنع الأحداث . . وهو الذى يكتب تاريخه . . وهو المشترك فى القرار . .

ثم أقول له إن صلاح الدين انتصر في معركة حطين . . ولا أقول له إن صلاح الدين كان في سوريا وكان ابن عمه ملك سوريا ، وأن الصليبيين هاجموا فلا كسبوا معركة ولا حاجة . . ولكنه كسب المعركة حينما جاء إلى مصر . . معنى ذلك أن طاقات مصر كانت وراءه . . بالرجال والمال وحدود الموقع الفريد . . كل إمكانات مصر الحضارية كانت تقف وراءه في المعركة . . أنا لا أهون من براعة القيادة ، فلا بد منها في المعركة ، لكن لا بد من الجنود الأكفاء . .

فنحن نعلم أولادنا أن التاريخ من صنع أفراد . . الأفراد نحن الذين صنعناهم . . ولن يكونوا إلا بنا كشعب . . فكيف نلوم هذا الجيل . . ؟

● الشق الثاني من السؤال هو : ما المطلوب لنضع أقدام هذا الجيل على أول الطريق الصحيح ؟

- أولاً أن نكف عن أسلوب التلقين . . أسلوب «تغليب» الأولاد بدلاً من «تعليمهم» . . ! أى أن أضعهم كلهم في علبة واحدة على اختلاف مواهبهم وقدراتهم وإمكاناتهم . . عملية تلقين مستمرة وحشو دماغ بمعلومات تفرغ على أوراق الإجابة ، وبعد ذلك ينسى الولد كل هذا لأنه لم يشترك فيه . المفروض أن أشركه معى بالحوار . . فالتعليم في الفصل المدرسى غير التعليم في الطبيعة الأم . . المفروض أن آخذه معى إلى النيل مرة ، والهرم مرة ، والمتاحف مرة . . والأرض والشجر . . وكل ذرة تراب أو رمل على أرضنا . . يمشى عليها وتدخل في تكوينه . . هذا هو التعليم

الذى لا يمكن أن ينساه .. ثم يأتى بعد ذلك الخلق أو الإبداع بعد أن يتكون الأطفال أقسمهم حسب هواياتهم ومواهبهم .. فهذا موهوب فى التعليم النظرى ، وهذا فى الصناعات أو الناحية العملية ، وهكذا ، فلا أحشرهم كلهم معاً كما يحدث الآن حينما نقول فى الثانوية العامة سنأخذ بالمجموع ، فنشد كل الأسر التى تلهث إلى الدروس الخصوصية من أجل المجموع ، ثم مكتب التنسيق .. بحيث تغير نصف درجة مسار إنسان .. ثم بعد أن يتخرج من الكلية .. نأخذ خريج الهندسة مثلاً وأوظفه فى شركة مياه غازية .. وخريج الزراعة فى أعمال تجارية .. هل هذا معقول؟! إذن لماذا كان التنسيق والحشر والتعليم من البداية!!؟ لابد من تغير جذرى للتعليم فى بلادنا .. لازم نفوق !

● إذن المطلوب مراجعة فلسفة التعليم بحيث يصبح تعليمياً لاتعليمياً؟

- ليس فقط الفلسفة وإنما الأسلوب أيضاً .. أسلوب التعليم وأسلوب وضع المناهج .. وأسلوب التوزيع ..

●●● الشخصية المصرية ومفترق الطرق الحضارية :

● يعنى حضرتك ذكرت كلمة أسلوب .. وأنا أود أن أوسع استخدام هذا اللفظ وأسألك : هل نحن حقاً فى حيرة أمام الاتفاق على أسلوب أو هوية محددة تقودنا فى مفترق الطرق الحضارية ؟

- طبعاً نحن فى حيرة شديدة كل الناس يلاحظونها .. لقد كنت أحضر مؤتمر الذاتية الحضارية ، وكنت أتحدث عن استمرارية

الشخصية المصرية واتصالها ، وشواهد إنجازاتها عبر العصور . . وإذا بأحد الحاضرين ، وهو أستاذ فرنسي يقف ويصيح بما معناه الآن تقولون : إنكم مصريون وقبل ذلك كنتم تقولون إنكم عرب ! وفعلاً شعرت بوخز شديد . . فالشاهد أنه توجد ذبذبة ، بل زلزلة موجودة ويلاحظها حتى الغرباء . . وهذا يظهر لك الارتجالية في كل شيء . . يعنى لا توجد لدينا ثوابت . . نختلف . . ولكن يشعر كل واحد منا بمدى البلبلة التى يتعرض لها أولادنا . . فما كان أبيض بالأمس يصبح أسود اليوم . . والمفاهيم تتغير . . خلط وتخليط وعشوائية في كل شيء . . وليس فقط الأولاد ، وإنما نحن نبلى الكبار أيضاً عن طريق الإعلام .

● أراك قد أثرت التجاوز عن ملاحظة الأستاذ الفرنسى الذى قابلتك في المؤتمر ؟!

- لا . . أنا لم أتجاوزه ، ولا يمكن أن أتركه بدون رد . . لكن أنا في قرارة نفسى أعطيه بعض العذر في ألا يفهم ما نقول . . فما التعارض في أن نكون مصريين وعرباً في نفس الوقت ؟ إننا مصريون أصولاً . . وعرب ثقافة ولسانا . . ومسلمون ومسيحيون عقيدة . .

نحن مصريون أولاً لأن مصر قبل الأديان . . ثم جاءت الأديان . . ومن حظ مصر وما يحسب لها أنها بعقل مفتوح وراجح وأفق واسع وثقة في النفس وقدرة على التطور . . ناقشت الأديان ثم اعتنقتها ثم أضافت إليها . . أخذت منها وأعطتها .

●●● المد الديموقراطى ! :

● هل ترصدين فى رؤيتك اليوم هذا المد الديموقراطى الذى نحياه . .
وهل ترصدين فيه نزوعاً نحو ظاهرة نقدية تجسّم عيوب الآخرين فقط ؟

- لاتؤاخذنى . . أنا غير موافقة على كلمة «مد» ديموقراطى «وجزر»
ديموقراطى ! إما ديموقراطية وإما لا . . من حق هذا الشعب أن يحيا
حياته ويحكم نفسه بنفسه . . ويقول لا بكل صراحة ووضوح . . لكن
«مد» ديموقراطى فيه نوع من المن على الشعب . . وهو لا يمن عليه أحد
. . فهو مصدر السلطات . . أو هكذا يجب أن يكون . . وهو صاحب
العطاء بعد الله . .

كما أنى لا أوافق على أن هناك ظاهرة نقدية تجسم العيوب هذا إرهاب
. . لأن الذى سينقد سيقولون له إنك تجسم العيوب ! طيب اشمعنى
النفاق أليس تجسماً للحسنات؟! هذا بفرض أن هناك حسنات! . . أنا
أرى أن النقد نوع من المحبة . . لأننى أقرع ابنى حينما يخطئ لأنى أحبه
وأريد له الخير . . نفس الشئ مع وطنى . . حينما أرى به عيباً يجب أن
أدق الأجراس . . ناقوس الخطر . . لأنى أخاف عليه . . ملهوفة عليه
. . لكن إذا استمر الإنسان طول الوقت يحرق البخور فما هى النتيجة ؟
افرض أن الإنسان أجاد . . ماذا فى هذا . . المفروض أن يجيد وأن يحسن
عمله ويعطى عطاءه . . لكن هل أظل طول الوقت أصفق؟ غير معقول
. . لماذا نعتبر النقد تجسماً للعيوب ولا نعتبر النفاق تبديلاً وتزويراً؟!

● ولكن يا دكتورة «أنت التى ذكرت اصطلاح «ظاهرة نقدية تجسم عيوب الآخرين فقط» وذلك فى كتابك «شخصية مصر» ؟

- لا . . أنا لم أقصد بها هذا المعنى ! أنا كنت أقول إننا لابد أن نعرف أنفسنا . . يعنى حتى عبارتى بالنص - إذا أسعفتنى الذاكرة - تقول : «فى غير تهويل أو تهويم» لأننا من طبعنا منذ عصور الضعف أننا إما أن نبخس أنفسنا أو أن نبالغ فى تقديرها . . أنا لا أريد هذا ولا ذاك . . أنا أريد تقيننا دقيقاً لكى نستطيع تحديد طريقنا . . هذا ما قلته .

● ولكن الديموقراطية التى نحيها الآن . . لاشك أنها واقع حى نلمسه جميعاً ولاشك أنك تلمسيه ؟

- إنك تبالغ . . إننا نرجو أن نعيشها كما نتمناها وكما نراها فى البلاد الديموقراطية الحقيقية . . هذا الشعب مارس الديموقراطية منذ القرن التاسع عشر . . وكانت هناك نماذج عليها حرية الرأى .

●●● قيم خالدة فى تاريخ مصر :

● فى معركة التنمية التى نعيشها ، ونحن نحمل تراث سبعة آلاف عام من حضارة متصلة غير منقطعة . . فيها الإيجابيات وفيها السلبيات . . فى رؤيتك الآن . . ماذا نأخذ وماذا نترك فى مسيرتنا من تراثنا ؟

- يبدو أننى سأختلف معك مرة ثانية ، واختلاف الرأى لايفسد للود قضية .

طبعاً يا دكتورة .. وليس معنى إلقائي لأى سؤال أننى أطالب ضيفي
بالموافقة عليه .. بل مطلوب مساحة أوسع للاتفاق والاختلاف والجدل
حتى يتبين الحق ..

- وهذه هى الديموقراطية ! أما ما أختلف معك فيه فهو حكاية
حضارة السبعة آلاف سنة .. لقد قال أحدهم ذلك مرة ثم سار الجميع
وراءه ! هذا خطأ .. لأن حضارة مصر عمرها عشرات الألوف من
السنين .. بدليل أنه فى قاعة العصر الحجري بالمتحف نجد إنجازات
الفنون وأعمالاً بالغة الروعة .. وتوجد آثار عمرها خمسة عشر ألف
وعشرون ألف سنة .. ومعنى ذلك أنه سبقها تحضير عشرة آلاف سنة
أخرى . لكى تصل إلى هذا الكمال .. فحكاية السبعة آلاف سنة هذه
مجرد التاريخ المكتوب ..

لقد كانت مصر أول بلد تتخطى مرحلة الصيد إلى مرحلة الرعى التى
تخطتها بسرعة ودخلت مرحلة الزراعة .. والزراعة باب طويل من أبواب
الحضارة .. لأن مصر زرعت فصنعت ، وزرعت فلونت ، وزرعت
فأمنت ، ورسمت وغنت وشعرت وعملت الكثير .. لذلك فإننى
أعتبر أن حكاية السبعة آلاف سنة هذه فيها غبن شديد لمصر ..

أما ما أختلف فيه معك بعد هذه النقطة فهو قولك إن التاريخ فيه
السلبيات والإيجابيات .

● أقصد أن التراث ليس كله إيجابيات .. ففى بعض عصور

الضعف توجد إضافات سلبية للتراث . . والسؤال كان ماذا نأخذ وماذا نترك . . أى ماذا نتخير من تراثنا للغد ؟

- المسألة ليست بهذه البساطة . . يجب إعادة دراسة التاريخ دراسة تفلسف الحدث ولا تكتفى بسرده . . لأن سرد الأحداث يحول التاريخ إلى حدوده . . بينما التاريخ أعلى من هذا بكثير . . وماذا تعنى فلسفة الحدث ؟ مثلاً اليابان أخذت تصریحاً منذ فترة قريبة أن تحضر إلى منطقة الهرم وتبنى هرمًا . . وحشدت كل الوسائل العلمية وتكنولوجيا العصر . . فكانت النتيجة انها بنت هرمًا قميئاً ، خجلت منه ، فهدمته وانصرفت !

هذا الأمر لا أمر عليه بسهولة . . فهذا الشموخ الشامخ للهرم . . كيف تم ؟ بأبسط الوسائل . . هنا فلسفة الحدث . . إن مصر أعطت هذه الإنجازات الرائعة والمبدعة بأبسط الوسائل . .

هنا الوقفة ، وهنا الرد على الذى يقول «أنا فى إيدى إيه؟» . . أو «أنا حاعمل إيه؟» . . أريد تكنولوجيا مثل التى فى أوروبا لكى أعمل مثل الذى فى أوروبا ! أبدأ مصر بأبسط الوسائل عملت بالفعل . . هذا مؤشر هام يهم مصر المعاصرة الآن . . إن المسألة ليست تكنولوجيا فقط . . إنما المهم الإرادة والإيمان . .

●●● روح مصر :

- وسأروى لك حكاية بسيطة . . «الذهبى» فى «العبر» يحكى أن الإفرنج حاصروا دمياط عام ٦١٦ هـ ووقعت معارك شديدة . . وعام

٦٢٨ هـ حدث فيضان شديدة وعام ٦٢٩ هـ حدث غلاء شديد ، وعام ٦٤٢ هـ حدث وباء شديد . . وعام ٦٤٨ هـ حدث غلاء شديد ! . . ثم بعد كل هذا فى عام ٦٥٨ هـ خاضت مصر معركة عين جالوت ضد التتار وانتصرت ، وانتصرت بانتصارها المنطقة كلها . . فمصر هى التى وقفت فى وجههم بعد أن اكتسحوا كل المنطقة وهزوا عرش الخلافة فى بغداد وألقوا كتب بغداد فى النهر ووطأوها بسنابك خيلهم . . وبعد كل هذا مصر وقفت وأنقذت الخلافة والتراث والحضارة . . وبهذا لم يكن انتصارها انتصاراً فى معركة ، وإنما كان نصراً للتاريخ والتراث والحضارة والقيم . .

وفى نفس الوقت بنت مصر الجسور والقلاع والمساجد فيها وفى الشام وجدت الجامع الأزهر والمسجد الأموى . . وفى عام ٦٨٢ هـ بنت البيمارستان . . كل هذا بنته وسط الحروب والأوبئة والمجاعات والأمراض . . بنت ورفعت المساجد التى ترتفع مآذنها وكأنها طموح مشتاق يرتاد أفقاً علوية . . فنلاحظ أن المئذنة فى العصر الصليبي تطلع من المثلث للمربع للمستقيم . . يعنى فيها نوع من «المجاهدة» يعبر عنها الفنان التشكيل . . هنا فلسفة الحدث . . أنه رغم كل هذه المحن إلا أن قومنا فى أنفسهم من الإيمان العميق ما يجعل من هذا الإيمان مرفأ ترسو عليه أقدامهم . . معنى ذلك أن الفحمة السوداء تتوهج وينصهر الجمر الصلب إلى حجر كريم . . لأننى حينما آخذ الحجر من الجبل فأبنى به مسجداً أو مدرسة فإننى أحوله إلى حجر كريم ! معنى كل ذلك أن مصر

تستعلى على المحنة وتقهر الصعب .. وأن مصر في تاريخها لم تعرف حائط المبكى .. لكنها كانت عظيمة في آلامها وكبرياتها .. هذه هى روح مصر .. وهذه فلسفة الحدث .. وليس مجرد أن صلاح الدين عمل أو محمد على أو خوفو .. نعم عملوا لكن نحن عملنا .. نحن الفاعل الحقيقى .

●●● مطلوب إعادة كتابة التاريخ :

- إننى أريد إعادة كتابة تاريخنا .. كغاية سرءاً .. المهم فلسفة الحدث نفسه لأنها مؤشر للأجيال .. لأنها تعطيها الثقة .. لكن إذا كان واحد هو الذى يعمل كل شىء، فسنظل نعتمد على هذا الواحد .. وهذا هو حكم الفرد .. !

●●● فجر الضمير :

● لقد ظل التدين العميق أحد المقومات الأصيلة لشعب مصر منذ آلاف السنين .. فما هو واقع التدين فى مصر الآن فى رأيك ؟ وكيف نحفظ به صفة إيجابية فى الإنسان المصرى المعاصر .. فى معاملاته وحياته اليومية ؟

- إنك تشير إلى حاجة معينة .. ولكنك تغفلها ! لكنى فاهمة ما الذى تريد أن تقوله .. ويبدو أننا هنا سنتفق سويأً بعض الشىء بعد أن اختلفنا !

لاشك أن الشعب المصرى عميق التدين والإيمان بالله .. لأن

حضارته - حتى قبل الأديان المنزلة - حضارة دينية .. يكفى أنه في فجر الإنسانية عرف الحق والعدل والخير والضمير .. ومادام الضمير موجوداً فهو أقوى حتى من القوانين .. لأن القانون معناه أن هناك عساكر .. إذا ما اختفى أو تحرك العسكرى يستطيع من يريد أن يخالف القانون أن يفعل ما يشاء .. لكن .. حينما يصبح هذا العسكرى داخلياً .. مثلاً في الضمير .. فهو رقيب وحسيب . مصر عرفت الضمير .. عرفت الثواب والعقاب .. الجنة والنار .. فعرفت التجويد في العمل .. لأنه يوجد ضمير في الأولى وجزاء في الآخرة .. فحلمت بالخلود .. حضارتها نوع من الحلم بالخلود والبعث .

لقد جاءت المسيحية من بيت لحم في فلسطين حيث مولد السيد المسيح عليه السلام ، والإسلام جاء من الحجاز حيث مولد الرسول ﷺ . لكن لا فلسطين ولا الحجاز ولا أى بلد إسلامى أو مسيحى وقف وراء المسيحية ثم الإسلام كما وقفت مصر .. لأنها بطبيعتها متدينة .. «ويعرف الفضل ذووه» .. لقد التقت بها الأديان لأنها وصلت بالفطرة السليمة وبالدفع الحضارى معاً إلى قيم جاءت الأديان فعززتها ..

أما النقطة الثانية فهى : كيف نحفظ بهذا التدين صفة إيجابية ؟ وهذا معناه إنه يمكن أن تكون للتدين صفة سلبية .. وهذه أيضاً أوافقك عليها .. لأنه لعوامل شتى يوجد إيمان عميق بالدين في مصر ، وفي الوقت نفسه يمكن أن يكون تديناً مظهرياً في جانب آخر .. لأسباب كثيرة ..

●●● مصر .. والتطرف :

- أولاً .. بسبب التشدد المبالغ فيه لدى البعض .. والرسول ﷺ يقول : «لا يشاد الدين أحد إلا غلبه» «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» .. فالدين جوهر له مظهر .. وعظمة الإسلام في اليسر والسماحة .. وحينما قال الرسول لسائله عن الحرام والحلال «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك» فهذا احترام للعقل والإرادة البشرية وثقة بالإنسان .. وعمر بن الخطاب ذات مرة ضرب أحدهم بعصاه أثناء الصلاة وقال له «ارفع رأسك إن التقوى في الصدر» ..

فالدين ليس مظهراً .. وأخشى ما أخشاه أن يكون أعداء الإسلام وراء حركة تزمت المتزمتين .. لأنهم يعرفون أن الإسلام قوة كبرى ومصر من ورائه قوة على قوة ، فهم يريدون أن يفتتوا هذه القوة بأن يشغلوها بالشكليات التي يتوه في جدلها الناس بين التفريعات ..

مرة كان الشيخ محمد عبده في المنيا .. فسأل الواعظ : كيف الحال ؟ فقال له الواعظ .. لقد غلبت من الناس .. أفهمهم أصول الوضوء ووجوب غسل الوجه من منبت الشعر إلى أسفل الذقن ومن شحمة الأذن اليمنى إلى اليسرى فلا يلتزمون .. وأتعبوني .. فقال له الإمام محمد عبده «يا سيدى كل واحد يعرف وجهه من غير مسح»! إذن الأعمال بالنيات .. ماذا يحدث لو لم ألمس منبت الشعر في الرأس ؟ المهم أنى نظفت وجهى وجوارحى الظاهرة المعرضة للتراب .. ثم إن الوضوء

وضاءة وجه قبل أن يكون غسيلاً ! والصلاة صلة بين الله والإنسان . .

وإننى أعتب على أهل الدين عدم توصيل هذه المفاهيم للناس . .
فليست التقوى أن أتعصب لدينى ضد الآخرين . . وكل الأديان تلتقى
على الخير . . والدين ليس مسجداً أو كنيسة . . إنها لحظة خلوصى بينى
وبين الله . . أنا لو عندى ما بينى مسجداً - صدقنى - لن ابنى المسجد
. . وإنما سأبنى مستشفى أو مدرسة . . لأن تخفيف آهة مريض أو محو
شقاء أمة يمحو أميته أقرب إلى الله فى اعتقادى من بناء المعبد ! ذلك أن
الإنسان يستطيع أن يصلّى فى أى مكان . . فالله هو خالقى . .
ويمكننى أن أرفع صلاتى إليه فى أى مكان . .

● وما فضل به الإسلام أن الأرض جعلت له مسجداً وطهوراً ؟

- نعم . . ثم إن الرسول عليه الصلاة والسلام أعطانا مؤشراً . . فقد
كان يجعل فدية الأسير تعليم عشرة صبيان . . هذه قيمة احترام العلم
. . وهذه هى قيم الدين التى تصنع جوهره . . لا مجرد الشكليات .

●●● عمارة العصر والشخصية الحضارية :

● أنتقل بك إلى اهتمام آخر من اهتماماتك . . وأسألك عن رؤيتك
لعمارة العصر فى مصر الآن . . بعد بواكى ومشريبات القرون الماضية . .
وإلى أين وصل عشق الخلود الذى اشتهرت به مصر ؟
- يمكن أن أقول إنه ليست لدينا عمارة الآن . . وإنما عشوائية . .

معمارية . . إن صح التعبير . . لأننى لا أفهم كيف تقام فى بلاد الشمس
المشرقة عمارات الحديد والألمونيوم . . تزيد الحرارة . . !؟ . .

ثم إننى أعتقد أن هذا مقصود لكى يقوم الناس باستيراد أجهزة
التكييف والألمونيوم والزجاج لإقامة واجهات زجاجية أو من الألمونيوم !
ثم أعمل ناطحات سحاب لأستورد مصاعد كهربائية . . ثم أستورد
خبراء لكل هذا !! يحصلون على مرتبات فلكية فضلاً عن أنى أكون تحت
رحمتهم . .

ثم إن لنا طرازاً فى البناء . . هو الطراز الإسلامى . . ومن العجيب
أنك لو زرت المتحف المصرى ستجد أن طرازه هو طراز البيت المصرى
. . ستجد القباب . . لأن مصر عرفت القبة منذ الأسرة الثالثة . .
والقباب فى بلد الشمس تساعد على تكسر الأشعة ، فلا تكون حامية
مسلطة على السقف المسطح . . والبناء باللبن يساعد على ترطيب البيت
. . والفتحات العالية لها حكمة فى توزيع الهواء ودورته . . فلماذا أترك ما
يناسبنى وأخذ بطرز معمارية من خارج بيئى ؟ هى طرز لبلاد لا ترى
الشمس أبداً . . لذلك يصممون الواجهات الزجاجية للحصول على
ضوء الشمس . .

ومن الغريب أن أمريكا بدأت تأخذ نظمنا الأصلية فى العمارة . .
وبدأت فى عمل حديقة داخلية مثلاً . . وبدأت تأخذ رأى كبار
معماريينا مثل المهندس حسن فتحي ، فى الوقت الذى نهجر نحن فيه
الأصول والجذور لكى نقلدهم !

●●● التخريب بين الاختيار والانهيار :

- أعتقد أن هذه العملية عملية تغيير جلد .. عملية تخريب محسوبة .. لأننى حينما أسكن فى عمارة غيرى وألبس نسيج غيرى .. وآكل خبز غيرى .. وأشاهد برامج تلفزيون غيرى .. وأدرس مناهج تعليم غيرى .. فهذه عملية تزلزل الكيان .. وتفقد الثقة فى النفس .. إذ ليس لى فى الأمر شىء .. أحس أنى جالسة أنتظر البرنامج والعمارة والرغيف .. وتبقى عقدة الرجل الأبيض والرغيف الأبيض .. والمشروبات الغازية .. مع أن عندى الكركديه والبرتقال والليمون ..

لقد كنا نصدر القمح فأصبحت أستورده لكى أكون حبيسة الإرادة المشلولة المرهونة .. إن عملية التخريب والتحديث بلا وعى عملية خطيرة .. أنا لا أعادى حضارة من الحضارات .. أبداً .. ولكن من باب أولى لا أعادى حضارتى .. لا أجافىها ولا أعطيها ظهري .. أريد أن يكون موقفى موقف الاختيار لا الانهيار .. أختار ما يناسبنى .. كيف يكون عندى القطن وألبس النايلون ؟ لقد أكدت البحوث العلمية أنه يسبب السرطان أحياناً لأنه ليس به مسام .. أيضاً ما يسمى بالتيفال .. نفس الشىء ..

لقد كسب غاندى معركة الهند بالاكتهاء الذاتى .. فهو الإرادة التى تجعلنى أملك الكلمة والقرار .. وبدون هذا كل شىء يضيع ..

حينما نسافر للخارج مثلاً .. نجد أن البضائع التى نتهافت عليها

هنا تباع هناك بأرخص الأسعار . . بينما القطن المصرى يغالى فى ثمنه . .
لاحظت هذا فى أمريكا . . أعلى أسعار هى أسعار الملابس القطنية . .
وحينما يمدحوه يقولون Egyptian Cotton .

وحتى فى مواد التجميل . . أكبر إعلان عن تظليل العيون يقول لك
It gives you an Egyptian eye أى « إنها تعطيك عينًا مصرية »
يا سلام! ثم نلهث نحن وراء كل شىء غربى . . لماذا . . ؟ وما هو
الغرب؟ وكيف بدأت نهضته أساسًا؟ لقد بدأت من الحضارة الإسلامية
فى الأندلس . . والطبعى أنه بدأ بالتقليد ، ثم بدأ بسرعة فى الدراسة
والإضافة وإقامة حضارة خاصة به . . فلماذا لا نفعل المثل؟ انظر إلى
اليابان تجدها حريصة على الأصل . . الموتور أصل الصناعة . . يعنى لا
تستورد الموتور وتقوم بعملية تجميع . . لا . . بل تصنع الموتور بنفسها
. . هذا هو التأصيل . .

فأنا لا أريد لمصر أن تكون تابعة . . لأن التبعية إذلال . . أريدها
رائدة . . مشاركة . . مساهمة فى العلم والفن وكل شىء . . مثلاً تجدها
نقلد فن اللا معقول . . كيف وهو نوع من الاحتجاج على حضارتهم؟!
ونقلدهم لو أطالوا شعورهم مثل جماعة الهيبيز . . وهذا أيضًا نوع من
احتجاجهم على مجتمعهم . . السيريالية مثل آخر . . وهكذا . . لماذا
نقلد كل هذا . . لماذا؟!

● أستطيع أن أقول : إن بيت د . نعمات الذى يجرى فيه هذا الحوار
نموذج للهوية . . فيه الطابع المصرى العربى الإسلامى . .

- مصر الفرعونية .. مصر المسيحية .. مصر الإسلامية .. جزء من
كيانى .. ولا يمكننى الاستغناء عن ثانية من عمر مصر أو أن أهدرها
.. كل تاريخها بمعاليه ومآسيه معاً فى وجدانى .. وإذا كنت أجمع بين
ركن إسلامى وركن فرعونى فى بيتى ، فأقصد إن أقول أن الإثنين -
بفضلي أنا .. أو أنا صاحبتهما .. أنا أستوعبهم وهم يستوعبونى ..
فمصر لا ترتدى من عصر معين .. فهى كل شىء .. هى قبل الزمان
بزمان .. هذه هى مصر !

●●● الاستثمارية الحضارية :

- إن مصر هى التى صنعت معنى المعاصرة .. أى استمرار الماضى
عبر الحاضر فى استشرافه نحو المستقبل .. فالإنسان المصرى حينما
اعتنق الإسلام وأراد أن يبنى فقد بنى بناءً وفناً مختلفاً عما صنعه فى العصر
الفرعونى ولكنه لا ينقطع عنه .

●●● القبة هرم .. والمئذنة مسلة :

- فمثلاً أنا أعتبر القبة الإسلامية العظيمة هرمًا .. لأن الخط فى يد
الفنان المصرى استدار بعد سلاسة وسماحة الإسلام .. كل مئذنة .. وكل
برج فى مصر داخله مسلة .. هذا الخط الصاعد المليء بالشوق إلى فوق ..
الذى يحلم بالسما .. كل العمارة المصرية منذ القدم تأخذ الخط الصاعد
مثل نخل النيل .. تتمثل فى الأبرم مسلة .. وفى الثانى برج كنيسة ..
ثم مئذنة مسجد .. ثم برج القاهرة ! لو وقفت على الشاطئ عند فندق

هيلتون ونظرت .. ستجد المسلة والبرج ومئذنة المسجد وبرج الكنيسة ..
كلهم واحد ! يختلفون فى التفاصيل من الخارج فقط .. ثم تجد نخلة
النيل .. التى هى الأساس .. فحضارتنا هى حضارة النبات .. حتى أننا
دائمًا نقول .. عمود بردى .. أو عمود لوتس .. يعنى داخل كل مئذنة
مسلة .. شىء له جذور .. كما نمدح إنسانًا فنقول : إنه ابن أصل .. !
وأن لا أطلب أن نقلد الماضى .. وإلا فأين دورى وأين عطائى ..
وأين ضريبة الوطن ؟ .. ولكن أنا أقول يجب أن يكون الماضى كنزًا فى
داخلى أستمد منه وأطوره وأظل فى حوار معه .. حوار خلاق مضى ..

●●● بين البلدى والآفرانكا ! :

● ما تفسير عبارتك الشهيرة « إن حضارة العصر تصفق لفك الخط
الفنى » ؟ !

- إن العلم لا وطن له .. أما الفن فهو ابن بيئته .. ويلاحظ أنه فى
عصور الضعف تهتز اهوية .. فمثلاً فى القرنين ١٦ و ١٧ كنا نمدح
الشىء بقولنا ده عثمانلى ! نسبة إلى آل عثمان .. وبعد الاحتلال
البريطانى أو الغربى كنا نقول « الآفرانكا » حينما نمدح الشىء .. أما
الشىء الذى لا يعجبنا فنقول عنه « بلدى » ! تصور كيف انعكست
الآية ؟ ! .. المفروض إن كلمة بلدى تقال عن الروائع الغوالى ..

● ألا يجوز أن السبب أن الإنتاج المصرى فى فترات الضعف لم يكن
يضاهى الإنتاج الأجنبى ؟

- والله أبدًا ! إن مصر فيها شيء عجيب . . لقد كانت دائمًا تواجه الغزو العسكري بغزو فنى حضارى . . وطبعًا هو الأبقى . . إن مصر لؤلؤ البحار . . دائمًا تصوغ دموعها أعمالاً عظيمة . . مثلاً أيام الرومان . . تعالى الغزاة على مصر فقاطعتهم . . بل تهكمت عليهم لدرجة أن القضاة الرومانيين حرموا على المحامين المصريين الترافع في محكمة الإسكندرية . . لأنهم كانوا يسخرون من القضاة الرومان ويهزون هيتهم . . وحينما أحس الرومان أن مصر قاطعتهم بدأوا في التودد إليها . . بل وعبدوا إيزيس في مصر ثم في روما نفسها ، وانتصرت مصر حضاريًا . .

وكانت مصر، من دون بلاد الإمبراطورية كلها ، الإقامة فيها بإذن من القيصر ، ولمدة محدودة . . وهذا اعتراف بأن مصر قوة لمن يملكها . . بابا الكنيسة المصرية كان يقول . . ماذا يعنينى من الإمبراطور . . أنا هنا الإمبراطور . . وكانت الكنائس الأخرى تتبع كنيسة مصر . . فالمسألة ليست مسألة عضلات . . يعنى السلطان سليم بمقاييس العضلات كسب المعركة في مرج دابق سنة ١٥١٦ ثم في الريدانية سنة ١٥١٧ واستولى على مصر . . لكن هذا السليم وقف فاغرًا فاه مبهورًا محدقًا في روائع مصر الفنية . . ما معنى هذا؟ معناه أنه لم ير مثل ذلك من قبل . . وكانت النتيجة أنه جمع كل هذه الروائع . . بل جمع الصناعات أنفسهم لكى يعلموا العثمانيين في القسطنطينية ! هذا هو الفن الذى نطلبه لمصر . .

●●● سلطان العارفين !

- هذا الشعب خلاق صناع اليد والفكر . . ودائمًا يجد نفسه فى الفن

لدرجة أن عمر مكرم والشيخ الشرقاوى كانا يستطيعان تنصيب واحد منهم واليًا على مصر . . ولكنها نصبا محمد على . . لماذا ؟ لأن المصرى يعتقد أن الحكم - أو ما يسميه هو مسألة الضبط والربط - مسألة تحتاج لعضلات . . تتطلب شخصًا يحارب ويحمى الحدود . . إنها الشعب المصرى شعب فنان . . مثل أى شخص فنان عظيم . . يحب موهبته ويجب فنه . . تقول له تعالى أنصبك ملكًا أو وزيرًا لا يرضى . . لأن عنده الأعلى . . عنده عطاء السماء . . الشيخ الشرقاوى يرى نفسه أفضل من الامبراطور . . هو رجل الدين . . السلطة الروحية . . هو المرفأ لهذا البلد .

الشيخ الإمامبى رفض أن يذهب إلى كرومر وهو من هو فى عنجهيته ووطنغيانه ، فما كان من كرومر إلا أنه توهج شوقًا لرؤية هذا الذى رفض زيارته ، فزاره هو فى قريته ، فلما دخل عليه مجلسه لم يقف ، بل استمر فى جلسته . . مصر كانت تسمى رجل الدين المخلص (سلطان العارفين) وهى رد على سلطان الحاكمية . . هذه هى مصر ، وهذا هو علم وفن مصر . . أما فى عصور الانحطاط فلا نستغرب التصفيق لفك الخط الفنى . . أى عملية التسطيح واختلال القيم والتخليط .

●●● محمودكو وعليشكو !

● هذا التخليط الذى يمكن أن نشاهده فى كل شىء . . حتى فى أسماء الناس والمحلات والشركات ؟

- نعم . . إن القاهرة هى تقريبًا العاصمة الوحيدة التى تعيش غريبة على أرضها . . نمشى فى الشارع نجد الأسماء الأجنبية . . طلعت حرب حينما أراد إقامة نهضة حقيقية سنة ١٩٣٠ قام بتمصير كل شىء . . شركة مصر لكذا وكذا . . واقتدى به الآخرون . . حتى الأجانب لم يقدروا على نطق الأسماء العربية السليمة فسموا شركاتهم بإيزيس وحورس ولوتس . . أى الأسماء المصرية القديمة . . المهم إنها مصرية . .

لكن حينما جاء الانفتاح . . وأنا لست ضده . . أنا أرحب بانفتاح يعلمنى شيئًا جديدًا : . آلة جديدة . . مصنع جديد . . إضافة جديدة . . لكن انفتاح يجعلنى سواقًا استهلاكيًا لكى يسحب ميزانية البلد فتكون النتيجة مزيدًا من التغريب فى كل شىء حتى الأسماء . . شركات محمودكو وعليشكو . . هذا غير معقول . . عندنا قانون جاهز منذ عام ١٩٤٨ يمنع هذا . . فهل نتقدم أم نتأخر ؟!

●●● الكتابة المجسدة والكتابة المجودة :

● دعينى أصارحك يا دكتورة أننى أثناء متابعتى لمعركة هضبة الأهرام التى انتصرت أنت فيها . . كنت أفكر فى سؤال . . أنت سيدة متزوجة وأم، وأستاذة فى الجامعة ، وكاتبة . . وأستاذ زائر فى جامعات العالم . . وعضو مؤتمرات شتى . . فكيف ألقت ثلاثين كتابًا ودخلت مثل هذه المعارك ؟!

- أولاً بتوفيق ربنا ثم بالنظام . . لأن النظام يعطى ضعف الوقت

تمامًا . . ثم بإسقاط الفصول . . بحيث لا يضيع وقتى فيما لا يعنينى . .
كما أننى أعتبر الكتابة بالنسبة لى ثروة بلا حدود وهواية يومية . . وهى
عندى نوعان : كتابة مجسدة وكتابة مجودة . . الكتابة المجسدة هى التى
أكتبها أنا على الورق . . أما الكتابة المجودة فهى التى أقرأها أنا
للآخرين !

●●● خاتمة :

- كيف تصفين هذا العصر فى سطر واحد ؟
- تمصر الخلاص فى العودة إلى المنبع . . الدين !

